



عبرها الفينيقيون والرومان والهنود سُقَطْرِي جَزْر الأَسَاطِير والدهشة والألغاز

استطاعت هذه الجزيرة الحاملة على مدى التاريخ أن تسحر سكانها وزائريها بكنوزها النادرة، وتنوعها المناخي، وجبالها العالية، وشواطئها وسواحلها الواسعة ذات الامتدادات المتنوعة، وأشجارها النادرة والعجيبة، وتنوعها الحيوي الفريد الذي يجعلها موطناً لأكثر الحيوانات والنباتات والطيور نادرة في العالم، وأحيائها وروائعها البحرية، وتنوع تضاريسها الرائعة، وكهوفها ومغاراتها الغامضة والساحرة، وثراؤها التاريخي والثقافي

إعداد: زياد أحمد الدغاري

استأثرت جزيرة دم العنقاء بانتباه الباحثين من غابر الزمان على الرغم من أنها تسبح في بقعة نائية من المعمورة، وكتب عنها المؤرخون والجغرافيون والرحالة الرومان والإغريق والعرب والهنود والفرس، فهي لؤلؤة نادرة في أعين المستكشفين، وأطلق عليها الهنود قديماً جزيرة الرخاء والسعادة، وأطلق عليها الباحث الروسي فيتالي ناومكين «جزيرة الأساطير»، وصنفتها صحيفة النيويورك تايمز كأجمل جزيرة في العالم لعام 2010 نظراً لما تتفرد به من تنوع حيوي مذهل وأهمية بيئية من الناحية العلمية.



المقدسة في الدول القديمة منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد على الأقل، بما أكسبها شهرة واسعة وأهمية كبيرة كمصدر مهم للسلع التي تستخدم في الطقوس التعبدية لديانات العالم القديم، وبذلك ساد اعتقاد في ذلك الزمان بأن الأرض التي تنتج السلع المقدسة هي أرض مباركة من الآلهة. وأهم هذه السلع اللبان الذي تشتهر به ويوجد منه تسعة أنواع مختلفة، فهي بلاد شجرة اللبان والصبغ النباتي والمر والصبغ والبخور ومختلف الطيوب والأعشاب الطبية. ومنذ القدم كانت الجزيرة معروفة بالعبور وعود الند وغيرها من المنتجات النباتية التي تستخدم في المعابد والطقوس الدينية وكذلك في الطعام والعلاج والمستخدمة كمواد تجميلية.

الجزيرة الأكثر تنوعاً حيويًا في العالم أدرجت سقطرى منذ عام 2008 في قائمة مواقع التراث العالمي لليونسكو كونها واحدة من أكثر الجزر تنوعاً حيويًا في العالم. فهي تضم 680 نوعاً من النباتات النادرة،

إلى بلاد الزنج يمر عليها.

الجغرافيا والسكان

سُقَطْرَى هي أرخبيل مكون من عدد من الجزر؛ هي جزيرة سقطرى، ودرسة، وسمحة، وعبد الكوري، وجزيرتان صخريتان صغيرتان. ويقع الأرخبيل في المحيط الهندي قبالة سواحل القرن الإفريقي على مقربة من خليج عدن، وتبعد عن أقرب نقطة في البر اليمني في جنوبي شبه الجزيرة العربية بمسافة 300 كم. وسقطرى تتوسط الممر البحري الدولي الذي يربط دول المحيط الهندي وبقاع العالم الأخرى في آسيا وإفريقيا وأوروبا. وتعتبر الجزيرة من أكبر الجزر العربية، حيث يبلغ طولها 125 كم، في حين يصل عرضها إلى 42 كم، أما طول شواطئها فيصل إلى 300 كم. ويسكن الأرخبيل نحو 135 ألف نسمة بحسب الإحصائيات السكانية لعام 2004.

جزيرة السلع المقدسة

عُرِفَت سُقَطْرَى كمركز مهم لإنتاج السلع

واللغوي، وموقعها الجغرافي المميز في المحيط الهندي الذي يربط الشرق والغرب وعلى مفترق الطرق البحرية، وملتقى طرق الملاحة للحضارات القديمة.

التسمية

سُقَطْرَى هو الاسم الأصلي للجزيرة التي سميت بأسماء كثيرة معظمها مشتق من هذا الاسم، ويشير عديد من المؤرخين العرب إلى أن أصل الاسم عربي، وهناك من يعتقد بأن اسم الجزيرة يعود إلى الكلمة السنسكريتية «فيا سوكهادارا» التي تعني «دار الرخاء» أو «دار السعادة». ويكتب اسم جزيرة وأرخبيل سقطرى بأكثر من طريقة ومنها سقطرة وسقطراء وسوقطرة. وجاء في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (574-626 هـ) بأن سقطرى تنطق بضم أوله وثانيه وسكون طائه وراء وألف مقصورة، ورواه ابن القطاع (433-515 هـ) سقطراء بالمد في كتاب الأبنية اسم جزيرة عظيمة كبيرة فيها عدة قرى ومدن تناوح عدن جنوبيها عنها وهي إلى بر العرب أقرب منها إلى بر الهند والسالك

علمياً *Euphorbia arbuscula* التي تعتبر أيضاً من مستلزمات الطب الشعبي عند السقاطرة.

وتقدر بعض الأبحاث العلمية ظهور شجرة دم الأخوين على سطح الأرض إلى نحو 50 مليون سنة بفضل عزلة سقطرى القديمة عن قارتي إفريقيا وآسيا، التي حافظت كثيراً على خصوصية الوسط الجغرافي المدهش بدءاً من العصر الحجري حتى الوقت الراهن.

موطن العنقاء

يتصور الفينيقيون أن طائر العنقاء المقدس عندهم كان يطول به العمر إلى نحو 500 إلى 600 سنة، وعند اقتراب الموت يطير من جزيرة سقطرى، حيث ولد إلى مدينة الشمس (هيلوبولس) في مصر، وتضيف بعض الأساطير أنه عندما يتقدم به العمر يقوم ببناء عشه من أعواد القرفة وأغصان البخور ذات الروائح الزكية التي تملأه بالعبير وتمده بالشذى العطري، ثم يضطجع مستلقياً بجسده مستسلماً للموت بحسب المؤرخ الروماني بلييني. ومن هنا ربما عرفت شجرة الأخوين عند البعض بدم العنقاء.

جزيرة خالية من الوحوش المفترسة

من اللافت للاهتمام أنه لا يوجد وحوش وحيوانات مفترسة في الجزيرة بما في ذلك الكلاب، وقمت بالبحث الطويل عن السبب ولكني لم أصل إلى أي تفسير. ولذلك فالأغنام والمواشي ترعى بأمان في السهول والجبال والأودية، لأن الجزيرة بأكملها تخلو من الوحوش الكاسرة كالأسود والضباع والنمور والذئاب والكلاب وأي حيوان مفترس آخر.

جيولوجيا الجزيرة

يُعتقد أن سقطرى قد انفصلت عن جنوب الجزيرة العربية منذ نحو 20 مليون سنة. فهي جزيرة مكونة من الصخور النارية والمتحولة والرسوبية، وسمتها الرئيسية هي الهضاب الجيرية، وقمم جبال جهر الغرانيتية الواقعة في وسط الجزيرة، والكتبان الرملية التي تهب عليها الرياح في الشواطئ الجنوبية والشرقية، والسهول الساحلية التي تقطعها عديد من بحيرات المياه العذبة الصغيرة. والجدال الدائمة التي تتدفق من الجبال المرتفعة في الوسط إلى سهل حديبو الشمالي، ويوجد أودية الأنهار الموسمية شمال وشرق الجزيرة، غرب وجنوب الجزيرة جاف نسبياً، وكذلك الجزر الأصغر الأخرى: سمحة، ودرسة، وعبد الكوري.

العالي من الاستيطان في البر والبحر عزز من مكانة سقطرى العالمية كواحدة من أهم مجموعات الجزر بيولوجياً في العالم.

دم الأخوين.. الشجرة والأسطورة

تقول الأسطورة إن ولدي آدم «قابيل وهابيل» كانا يعيشان في جزيرة سقطرى، وعندما قتل أحد الأخوين الآخر، وسالت أول قطرة دم إنسان على الأرض، نبتت الشجرة التي تسمى عند العرب شجرة دم الأخوين. واعتقد الهنود بأن هذه الشجرة نبتت فوق الدم المسفوك في المعركة بين الفيل والتنين في الملحمة الهندية عن ويشا وشيوا، ولذلك سميت أيضاً شجرة التنين.

وترسخت صورة شجرة دم الأخوين في الأذهان لتصبح بمثابة رمز أو شعار للجزيرة، ولا عجب في ذلك فهي شجرة مستوطنة في جزيرة سقطرى ولا توجد في أي بقعة أخرى من العالم، ولهذه الشجرة عديد من المسميات منها شجرة دم الغزال ودم التنين ودم التيس ودم الثعبان وصبغ البلاط والصبغ الأحمر والعروق الحمراء وغيرها من المسميات المعروفة في البلاد والقبائل العربية. واسمها العلمي هو *Dracaena cinnabari*.

وهي من أغرب وأجمل وأندر الأشجار في العالم، وتتميز بارتفاعها وتجمع سيقانها على شكل مظلة خضراء كثيفة أو قبة جميلة حاكمتها الطبيعة من أوراق شوكية طويلة، وهي من بعيد تبدو كأنها الفطر. وتستخدم خلاصة دم الأخوين لأغراض متعددة منذ قديم الزمان كمادة تجميلية وعلاجية في الطب والبيطرة لما لها من فوائد طبية لا تكاد تحصى. وهناك شبه كبير من حيث المظهر الخارجي بين شجرة دم الأخوين وشجرة أخرى تستوطن الجزيرة وتسمى «شجرة اليتوع»، وتسمى

وتلت هذه النباتات تنفرد بها الجزيرة عن سائر بقاع العالم. كما تاوي الجزيرة عديداً من الطيور المختلفة والنادرة، وتوجد بها أنواع مختلفة من العصافير تقدر بـ 44 نوعاً مستوطناً فيها، و58 نوعاً مهاجراً، ومن بين هذه الأنواع يوجد ما هو مهدد بالانقراض.

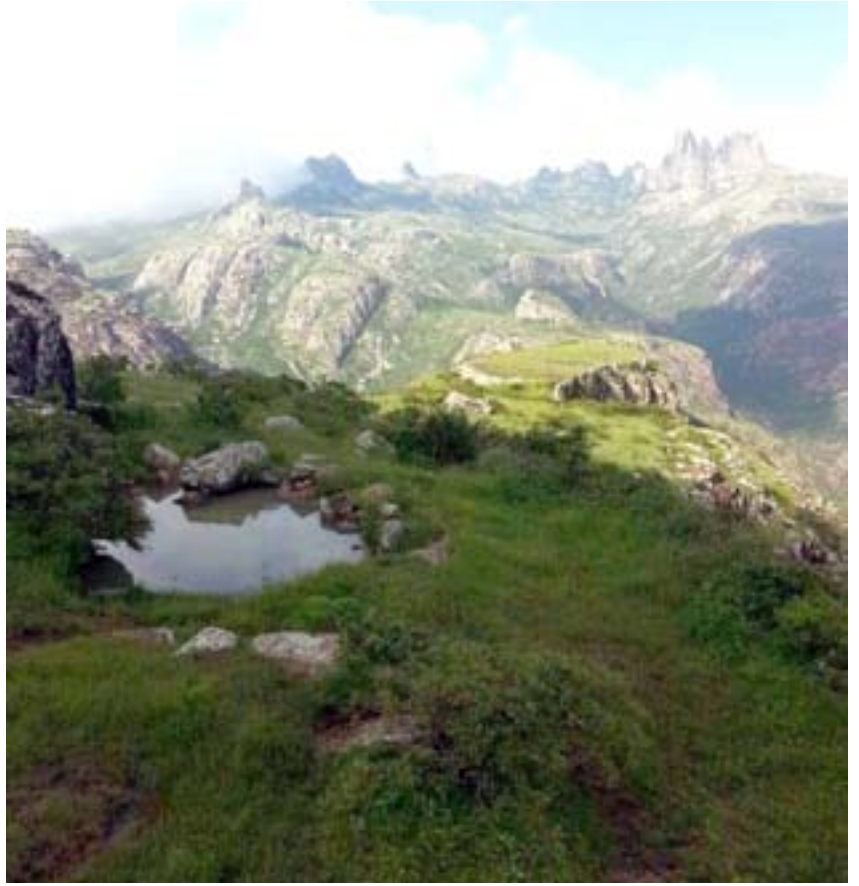
ووفقاً للباحثين، فإن الأرخييل يتميز بوجود كثير من الحشرات التي لا توجد في أي مكان آخر من العالم، منها فراشات الليل، و100 نوع من الحشرات الطائرة، و80 نوعاً منها لا توجد إلا في سقطرى.

والحياة البحرية والمائية في سقطرى غنية للغاية، حيث يوجد فيها الدلافين التي تقوم بأداء استعراضات رائعة على سواحل الأرخييل، بالإضافة إلى أنواع متعددة من أسماك الزينة، ونحو 60 نوعاً من الإسفنجيات، إضافة إلى أنواع أخرى من الصدفيات والأحياء البحرية المائية. ويضم الأرخييل 352 نوعاً من المرجان، و730 نوعاً من الأسماك، و300 نوع من الروبيان والكركند والسرطابين.

وبحسب الدكتورة ميراندا موريس مؤلفة الكتاب الموسوعي *Ethnoflora of the Soqatra Archipelago* بمشاركة عالم النبات أنتوني ميلر فإن 100% من قشريات الكهوف، و90% من الزواحف، و60% من العناكب، ونحو 40% من النباتات، وسبعة أنواع من الطيور تعتبر مستوطنة في سقطرى، ولا توجد في أي مكان آخر في العالم. والتنوع البيولوجي المائي للبحار حول الجزيرة لا يقل أهمية عن التنوع البيولوجي البري، فهي تحتوي على نماذج من الكائنات من المناطق الجغرافية البيولوجية البحرية المختلفة التي تجتمع في الأرخييل: البحر الأحمر، البحر العربي، شرق إفريقيا، المحيط الهندي الغربي، والهندي-الهادي. وعُرفت سقطرى أيضاً بتنوع شعابها المرجانية. وهذا المستوى



سانت أندروز بالمملكة المتحدة، حاصلة على الليسانس في العربية ودكتوراه في اللغات العربية الجنوبية الحديثة من جامعة لندن، تقول: «اللغة السقطرية هي واحدة من مجموعة مكونة من ست لغات تُدعى اللغات العربية الجنوبية الحديثة (MSAL) واللغات الخمس الأخرى هي: المهرية، والبطرية، والهيوتية، والحرسوسية، والشحرية. وهي لغات سامية تتحدث بها أقليات سكانية في جنوب وشرق اليمن، وغرب عمان، والأطراف الجنوبية من المملكة العربية السعودية. وهذه اللغات تنتمي إلى فرع اللغات السامية الجنوبية في عائلة اللغات السامية، والتي تضم أيضاً اللغات السامية الإثيوبية، واللغات العربية الجنوبية القديمة. وهذه اللغات تتفرع من اللغات السامية الوسطى التي تضم العربية الحالية واللغتين الآرامية والعبرية». وتجسد اللغة السقطرية وشعرها وفنّها الغنائي الخبرات والهوية الثقافية الفريدة للأجيال التي عاشت على الجزيرة، وتصف الجزيرة بالتفصيل، وتوضح أساليب تعامل سكان الجزيرة مع النظم البيئية التي ساعدتهم على إدارة جزيرتهم بمثل هذه المهارات، والحفاظ عليها فيما مضى بما يجعل من البقاء ممكناً.



السقطرية لغة للقراءة والكتابة
اللغة السقطرية - مثل باقي اللغات العربية الجنوبية الحديثة - لا تمتلك نظام كتابة خاصاً بها، ومعظم حروف وأصوات اللغة السقطرية تشبه العربية، باستثناء أصوات قليلة. وظلت السقطرية محفوظة في الذاكرة الشعبية بطريقة شفوية، تقول الدكتورة ميراندا موريس: «إذا لم تطور اللغة نظام كتابة، فهي بلا شك ستكون مهددة بالانقراض، مثلما حدث لكثير من لغات العالم الشفهية، فهناك نحو 7800 لغة غير مفهومة بشكل متبادل يتم التحدث بها حول العالم اليوم، ويُتوقع أن تختفي نصفها في نهاية هذا القرن، واللغة السقطرية ستكون من بين هذه اللغات ما لم يواصل سكان الجزيرة التحدث بها إلى أطفالهم، ويتم الاصطلاح والاتفاق على نظام لكتابة لغتهم، واستخدامه».

وعند سؤالنا لها عن إمكانية أن تصبح اللغة السقطرية لغة مكتوبة، ردت الدكتورة موريس بالقول: «في الواقع هذا ممكن، فأنا أشارك في مشروع ممول من قبل منظمة ليفرهولم بعنوان التوثيق والتحليل العرقي واللغوي للغات العربية الجنوبية الحديثة. وهذا المشروع يتناول ابتكار كتابة معدلة من الأبجدية العربية بمشاركة زملاء

ونقوش وأثار مهمة، من بينها 250 نصاً وكتابات بالهندية والعربية السامية القديمة، وخريشات أكسومية إضافة إلى عديد من القطع الأثرية مثل المباخر التي وجدت موزعة بمسافات متباعدة، ووجود آثار رماد وأخشاب محترقة تشير إلى وجود حياة فيه، ما يدل على أن الكهف استخدم كمعبد ديني.

ويعتقد الباحثون أن كثيراً من المغارات والكهوف لم يتم الكشف عنها حتى الآن. ولا تزال الدراسات المتخصصة في الكهوف والمغارات مستمرة لاكتشاف مزيد منها، وللتنقيب في أسرار الكهوف التي سبق اكتشافها في الجزيرة التي لا يزال الغموض يلفها.

السقاطرة يتكلمون لغة غير مكتوبة
يتمتع أرخبيل سقطرى بتراث لغوي مميز يتمثل في اللغة السقطرية التي يمتد تاريخها لآلاف السنين، وتصنف السقطرية وفق علماء اللسانيات ضمن اللغات العربية الجنوبية الحديثة، لكنها تصنف اليوم من اللغات المهددة بالانقراض في ظل انفتاح سكان أرخبيل سقطرى على العالم المحيط، فضلاً عن كونها لغة شفوية غير مكتوبة. وفي مقابلة مع الدكتورة ميراندا موريس، وهي باحثة اسكتلندية تعمل في جامعة

مغارات وكهوف ساحرة
«أنا عبقر ابن أبسو مايا كتبت هذه العبارات في يوم 25 تموز، أرجو من زائر هذا الكهف أن لا يعث به وأن الله سوف يحفظه». هذه العبارة وجدت منقوشة على لوحة خشبية باللغة الثمودية في أحد كهوف الجزيرة، ويعود تاريخها إلى عام 700 قبل الميلاد، وهذه العبارة المنقوشة تدعو إلى عدم العبث من زائر الكهف، وهي بذلك تحذر من لعنة أشبه بلعنة الفراعنة. ليس التنوع الحيوي والمناخي والطبيعي هو ما ينفرد به أرخبيل سقطرى عن غيره، بل تمثل المغارات والكهوف الطبيعية الساحرة بما يكتنفها من غموض وأسرار أبرز ما يميز الجزيرة. في عام 2008م، تم الإعلان عن اكتشاف جديد في سقطرى لكهف يبلغ طوله 13.5 كم من قبل الألماني بيتر ديجيست Peter De Geest، ويعتبر الكهف الأطول في الشرق الأوسط كله، فهو يتجاوز بذلك مغارة جعيتا في لبنان. وحسب بيتر ديجيست فقد تم العثور على أكثر من 40 كهفاً ومغارة حتى الآن. ومن الكهوف المثيرة للاهتمام كهف «حوق حالة» في منطقة حالة الذي يبلغ طوله 3 كيلو مترات، وعثر فيه على رسوم



من المجتمعات الناطقة. وأضافنا خمسة رموز جديدة فقط لمعظم اللغات، وثمانية رموز إضافية بالنسبة لإحدى هذه اللغات وهي الشجرية. في نهاية السنة الأولى من المشروع، تم اختبار هذه الكتابة على مجموعة متنوعة من الناطقين».

متى استوطن الإنسان سقطرى؟

لا يكاد العلماء يعرفون أي شيء عن بداية ظهور الإنسان في هذه الجزيرة ولا عن أول ساكنيها، لكنهم يعتقدون بأن الإنسان قد عاش في هذه الجزيرة منذ الأوقات المنسية من التاريخ. ويقول عالم الآثار ألكسندر سيدروف-مدير متحف الشعوب الحضارية في روسيا ورئيس البعث الأثري الروسية في سقطرى إنه قد تم العثور على موقع يعود إلى العصور الحجرية وأن الإنسان القديم ربما كان قد سكن هذه المنطقة المهمة من العالم، ويشير إلى أن ديانة سكان الجزيرة قديماً كانت كديانة سكان حضرموت الذين كانوا يعبدون الإله سين «ذو عليم» أو إله القمر. ولكن من المؤكد أن هذه الجزيرة كانت معروفة لدى البشر منذ أزمان سحيقة في القدم، وقد بدأ تاريخها مع تاريخ أقدم حضارات الشرق: المصرية، وجنوب الجزيرة العربية، وعرفها الفينيقيون والرومان والإغريق والهنود الذين أطلقوا عليها تسمية جزيرة الرخاء.

الجزيرة في كتابات الرحالة

كتب عن الجزيرة كثير من الرحالة والجغرافيين ومنهم الرحالة الإيطالي ماركو بولو، والقزويني، وابن بطوطة، وابن ماجد، والقائد البحري البرتغالي الإسكندر البوكيرك، والمؤرخ ديودور في رحلة في البحر الإريتري (الأحمر)، وفاسكو

دي جاما، وياقوت الحموي، والهمداني وغيرهم الكثير. جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي (574-626هـ) بأن أرسطاطاليس كان قد كتب إلى الإسكندر حين سار إلى الشام في أمر هذه الجزيرة يوصيه بها وأرسل إليه جماعة من اليونانيين ليسكنهم بها لأجل الصبر القاطر الذي يقع في الإيارجات، فسير الإسكندر إلى هذه الجزيرة جماعة من اليونانيين وأكثرهم من مدينة أرسطاطاليس وهي مدينة اسطاغرا في المراكب بأهاليهم وسيرهم في بحر القلزم فلما حصلوا بها غلبوا على من كان بها من الهند وملكوا الجزيرة بأسرها وكان للهند بها صنم عظيم فنقل ذلك الصنم إلى بلاد الهند في أخبار يطول شرحها.

وذكر القزويني في كتابه «أثار البلاد وأخبار العباد» عن جزيرة سقطرى قال: «جزيرة عظيمة فيها مدن وقرى توازي عدن، يجلب منها الصبر ودم الأخوين، هذا الوقت». وكتب الرحالة العربي ابن بطوطة (-703 779 هـ) عن الجزيرة وأشار إلى أنها كانت محط للنورساريين في القرن العاشر الميلادي، وأن الجزيرة اشتهرت في ذلك الوقت بصمغها -عصير «شجرة التين» وشجرة اللبان (المر)، كما أشار إلى الملاحه إلى سقطرى وإلى موقعها، وبأنها ستكون عند الإبحار إياباً إلى عدن بلاد الزنج إلى ناحية اليسار.

وكتب عنها الملاح العربي العماني أحمد بن ماجد (821-906هـ) فيقول: «فيها خلق كثير قريب العشرين ألف آدمي، وقد ملكها من قديم الزمان خلق كثير، فلم تتم إلا لأهلها وقد ملكها في عصرنا محمد بن علي بن عمر بن عفرار وبني عبد النبي سليمان الحميري وكلاهما من شيوخ المهرة».

مجلة العربي تزور الجزيرة

وعلى الرغم من أن سقطرى قد عاشت في عزلة كبيرة حتى بعد الاستقلال الوطني وظلت بعيداً عن الإعلام، إلا أن مجلة العربي قد أسهمت في كسر هذه العزلة إعلامياً عندما قامت بنشر استطلاعها المنشور في العدد 152 الصادر في شهر يوليو 1971م والعدد 153 لشهر أغسطس 1971م للصحافي المصري سليم زبال، حيث تصدر



كما لا يسمح له أن يقوم بجمعها بما يفسد التوازن البيولوجي.

لسقطرى أصدقاء

بدأ اهتمام المؤسسات العلمية والأكاديمية حول العالم يزداد في العقدین الأخيرین، وقام باحثون من مختلف التخصصات العلمية علوم النبات والحيوان وعلوم الطبيعة والجيولوجيا والأنثروبولوجيا واللسانيات وغيرها بزيارة الجزيرة والقيام ببعض البحوث العلمية، بعد أن كاد البحث في فترة السبعينيات والثمانينيات أن يقتصر على ما قامت به البعثة العلمية السوفيتية التي قامت ببحث ميداني في الجزيرة بين عامي 1983 و1987م، التي تعتبر أول بعثة علمية مشتركة للأبحاث الإنسانية في تاريخ العلاقات العلمية والثقافية بين الاتحاد السوفيتي والبلدان العربية.

وفي عام 2001، قام عدد من الباحثين والعلماء من بلدان مختلفة ممن يجمعهم الاهتمام بجزيرة سقطرى بتأسيس جمعية خيرية تطوعية أطلق عليها «جمعية أصدقاء سقطرى» بغرض جمع الأشخاص الذين لديهم خلفية علمية حول أرخبيل سقطرى وأولئك الذين لديهم اهتمام عام بها من أجل تعزيز الاستخدام المستدام والحفاظ على البيئة الطبيعية للأرخبيل، ودعم التحسين المستدام في المستوى المعيشي لسكان الأرخبيل، وتوفير المعلومات حول البحوث العلمية الجارية.

وحسب الموقع الإلكتروني للجمعية، فقد تأسست جمعية أصدقاء سقطرى من أجل هدفين رئيسيين هما دعم سكان الجزيرة في صون التنوع الحيوي الغني للحياة البحرية والبرية التي تتوقف عليها حياتهم على المدى الطويل، وتقديم أي دعم ممكن لجهودهم الرامية نحو الحفاظ على تراثهم الثقافي الفريد الذي لا يقل أهمية عن التنوع الحيوي.

وتضم الجمعية التي اتخذت من بريطانيا مقراً لها أعضاء من مختلف الدول من أوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا وأمريكا. وتقوم الجمعية بعقد اجتماع عام سنوي يجمع كل المهتمين حول العالم بالجزيرة وتنوعها الحيوي والثقافي، حيث قرر أن يعقد الاجتماع العام السنوي لهذا العام الذي سيكون الاجتماع الثامن عشر في مدينة باليرمو الإيطالية للفترة من 26 وحتى 29 سبتمبر 2019.

السقاطرة.. شعب كريم ومسالم
تفاصيل الحياة اليومية مسالمة وهادئة



باقي مناطق البر في جنوب الجزيرة والكثير من المناطق العربية، وعرف السقاطرة حياة التمدن العصرية، وأصبوا يحرسون على أن يحصل أبناؤهم على التعليم، والتحق كثير من أبنائهم بالتعليم الجامعي ونالوا الدرجات العلمية في تخصصات ومجالات مختلفة.

السياحة البيئية في سقطرى

تعتبر سقطرى وجهة سياحية مناسبة بدرجة أولى لما يسمى بالسائح البيئي، وهو مفهوم يقصد به السائح الذي يمتلك درجة عالية من الوعي ويسعى إلى الحصول على خبرة مباشرة في مجال الطبيعة والبيئة، والسياحة البيئية كما عرفها الاتحاد الدولي لصون الطبيعة هي «السفر والزيارة المسؤولة بيئياً إلى المناطق الطبيعية غير المتضررة والمحافظة بسماحتها وخصائصها الأصلية، وما يصاحبها من سمات من الماضي والحاضر، بغرض التعلم وتقدير الطبيعة لذاتها والمحافظة على البيئة بتقليل الآثار السلبية للزيارة، ومشاركة السكان المحليين الفعالة في نشاطاتها لاستفادتهم اقتصادياً واجتماعياً».

ولذلك فسقطرى هي المكان الأمثل للسائح البيئي، والجزيرة وأهلها يرحبون بالسائح البيئي نظراً لمسؤوليته في تجنب التدخل في الشؤون الخاصة بالسكان المحليين، والإحساس بالمسؤولية في الحفاظ على النظافة، وتجنب الأضرار بأنواع الحيوانات البرية والطيور والنبات الطبيعي، وكذلك بالحياة البحرية.

وفي سقطرى على اعتبار أنها محمية طبيعية، فلا يحق للسائح أن يسافر وبحوزته أية مواد حية أو ميتة كالمرجان والأصداف والأسماك والحفريات وغيرها،

غلاف العدد 152 صورة لفتاة سقطرية، وجاء العنوان في صيغة استفهامية «أنا من سقطرى.. هل تعرفون جزيرتي هذه؟» بينما تزين غلاف العدد التالي رقم 153 بصورة رجل سقطري عكست ثقافة وملامح الإنسان السقطري في تلك الفترة. وأسهم هذا الاستطلاع في التعريف بالجزيرة المنسية.

ويحكي لنا الباحث الروسي فيتالي ناؤمكين مؤلف كتاب «هناك حيث ولدت العنقاء» والصادر في عام 1973 الذي يعتبر أول حكاية فتاة الغلاف السقطرية التي ظهرت في غلاف العدد 152 من مجلة العربي، ويقول بأن مراسل مجلة العربي سالم زبيد أراد التقاط صورة ملونة لغلاف عدد المجلة التي سينشر فيها الريبورتاج عن سقطرى ووقع اختياره على فتاة اسمها ثومة، وبعد رفض الفتاة قام مرشده السقطري عامر بإقناع الفتاة. وبعد التقاط الصورة ببضعة أشهر، علمت الفتاة ثومة بأن صورتها قد طبعت على الورق، ونظر إليها الكثير من الناس، وهنا أدهش الفتاة أن وجهها وصدرها عراهما احمرار وانتفاخ، وطراً عليهما ورم ما. وتشوهت الفتاة حتى أصبحت لا تكاد تعرف، ولم يعد ممكناً أن تعرف فيها «نجمة الغلاف» تلك، وأصبح مستحيلًا إقناع أي فتاة ما من فتيات دبرهو - وهذا اسم قريتها- بالوقوف أمام عدسة التصوير، فقد أصبحن متيقنات بأنهن إن فعلن ذلك سيحقيق بهن مصير الحساء ثومة.

ولكن وبكل تأكيد فالإيمان القوي بالخوارق والسحر والأشباح واستخدام التمايم والعقود والطلاسم قد انحسر بفعل الانفتاح على العالم والتعليم كما هو حال



في الجزيرة، ويعيش السكان في ترابط اجتماعي وسلام ووثام. وحسب الأجهزة الأمنية، فنسبة الجريمة تعتبر صفراً في الجزيرة ولا توجد جرائم جنائية أو عمليات قتل أو سطو أو سرقة، حيث يؤكد مسؤولو الأمن في الجزيرة عدم تسجيل أي قضايا قتل، ولا يوجد في السجن سوى بضعة أفراد أغلبهم موقوفون لقضايا غير جنائية. وبخلاف البر اليمني، لا يوجد بين المواطنين في الجزيرة من يحمل السلاح لأن طبيعة السقراطية تنبذ كل أشكال العنف وظواهر حمل السلاح. وكل من يعيش على الجزيرة مسالم، الإنسان والحيوان على حد سواء، وليس هناك وجود للوحوش المفترسة.

الحاجة الماسة إلى تنمية مستدامة

لقد ظلت سقطرى تحتفظ بتنوعها الحيوي وبطبيعتها الجيولوجية وكهوفها المتميزة لمئات إن لم يكن آلاف السنين، لكنها للأسف قد لا تستطيع الحفاظ عليها لكثير من السنوات القادمة نظراً للتنمية المتزايدة بصورة غير مدروسة فضلاً عن التغييرات البيئية، وهذان العاملان قد يتسببان في تدميرها. ملايين من السنين من العزلة، وتضاريس وجيولوجيا متنوعة، وقرون من الإدارة المستدامة للأرض من جانب سكان الجزيرة ساعد على الحفاظ على الكائنات الحية الغنية على الجزيرة. لكن مع ذلك، فالتنمية المتسارعة اليوم تهدد بيئة الجزر وثقافة ساكنيها، كما أن خبرة الأجيال السابقة في إدارة مواشيهم قد فقدت، والرعي الجائر وتآكل التربة أصبحا واضحين في أجزاء كثيرة من الجزيرة.

وتعاني الجزيرة أيضاً من الصيد الجائر للأسماك، من قبل كل من سكان الجزيرة، والصيادين الزائرين، وأيضاً من الصيد غير المشروع من خلال سفن الصيد الصناعية. وهناك مشاكل التلوث، والتخلص من النفايات بشكل غير مناسب، وتوسع البنية التحتية في المناطق الحضرية غير المخططة، والإفراط في استخراج المخزون المحدود للمياه العذبة، والاستخدام غير المنظم للمبيدات (المتعلقة بالزراعة، ومكافحة البعوض، والطب البيطري)، ومنافسة الأنواع أو الأصناف الدخيلة. وبالطبع، تهديد تغير المناخ العالمي الذي سيؤثر على البيئة البحرية والبرية. كما أن النشاطات التجارية تتزايد بحراً وبراً، والهجرة من البر الرئيسي أدت إلى التوسع السكاني، وهناك أيضاً نمو في صناعة السياحة بصورة متسارعة وغير منظمة في الوقت الذي لا يستفيد سكان الجزيرة منها

والخبرات والنظم والتقاليد المحلية للإدارة المستدامة لتوجيه التنمية، فهي المسؤولة إلى حد كبير عن حماية الجزيرة حتى الوقت الراهن».

وأضافت: «سقطرى اليوم أصبحت محافظة في حد ذاتها منذ عام 2013م، ولذلك فلديها الآن الفرصة لصناعة الكثير من القرارات بنفسها بشأن إدارتها، ويمكنها أن تضع لوائح خاصة بها لإدارة بيئتها، وإدارة أولئك الذين يأتون لزيارتها، كسائحين أو تجار أو لإجراء البحوث. والمحافظة الجديدة يمكن أيضاً أن تعمل من أجل تفعيل التعليم، وتعليم الجيل الشاب بعض الدروس المستفادة من الأجيال السابقة، ولا سيما على صعيد تشجيع استعمال اللغة السقطرية إلى جانب العربية. وينبغي أن تكون هناك دقة أكثر في تخطيط البنية التحتية اللازمة، وإدارة استخدام المياه، وتطوير إستراتيجية للسيطرة على كثير من النزاعات على الأراضي والمياه، وتطوير سوق للمنتجات السقطرية وإدارة التنمية بحيث تعود بالفائدة على جميع سكان الجزيرة. فأعظم ثروة واعدة في الجزيرة هي الناس وهم السقطريون الذين قاموا بإدارة جزيرتهم في الماضي بكل مهارة، والسقطريون وحدهم هم الضمان لبقائها في المستقبل. ومع ذلك، فهناك بعض المسائل التي سيجد السقطريون أنفسهم صعوبة في إدارتها بطريقتهم الخاصة، مثل تغير المناخ، وأسعار المواد الغذائية، وعدم جاذبية أسلوب العيش الريفي بالنسبة للجيل الجديد، وعدم الاستقرار السياسي في الوقت الراهن، فمن الواضح انعدام الإدارة السياسية أو القدرة على معالجة كثير من المشاكل التي يواجهها سكان الجزيرة».

إلا بشكل يسير.

ولن يكون من السهل حماية التنوع البيولوجي، فالأمر يتضمن إلى جانب مسائل أخرى: رفع مستوى معيشة سكان الجزر من خلال تعليم متطور، والعناية الصحية، وفرص العمل والتدريب، وتصميم نظام لحل النزاعات حول الأراضي والمياه، التي تتسبب في الإضرار بالمجتمع في الجزيرة إلى درجة عالية، ووضع حدود واضحة بما يجعل ملكية الأراضي والحقوق في المياه والمراعي معروفة للجميع، وإشراك كبار السن في المجتمع في تعليم الجيل الجديد، لتعليمهم مهارات أجدادهم في استخدام الأرض وإدارة المياه، وتناوب الرعي من أجل بقاء المراعي، والإشراف الدقيق على الثروة الحيوانية وإدارة تربيتها، وتشجيع استخدام وكتابة اللغة السقطرية التي تدخر كثير من خبرات هذه الجزيرة، والتشجيع على التخلص من النفايات بطريقة سليمة، ووضع حد للتلوث، والحد من غزو الكائنات الدخيلة، والحد من استخدام المبيدات والصيد غير المشروع. وقبل كل هذا، دراسة التأثيرات المحتملة على البيئة قبل اتخاذ القرارات عندما يتم تخطيط البنية التحتية وتنمية المناطق الحضرية.

سقطرى وتحديات المستقبل

سقطرى تعد من مواقع التراث العالمي، وطالما نجحت في الحفاظ على هذا اللقب، فإنها ستستمر لتكون ذات أهمية عالمية. وعندما وجهت سؤالاً للدكتورة موريس عن مستقبل سقطرى باعتبارها قد مكثت فيها أمداً طويلاً لقرابة نحو ثلاثة عقود وخبرت البيئة السقطرية نتيجة لدراساتها العلمية المتعددة، فقد ردت بالقول: «من الضروري أن يتم تقدير واستخدام المعارف